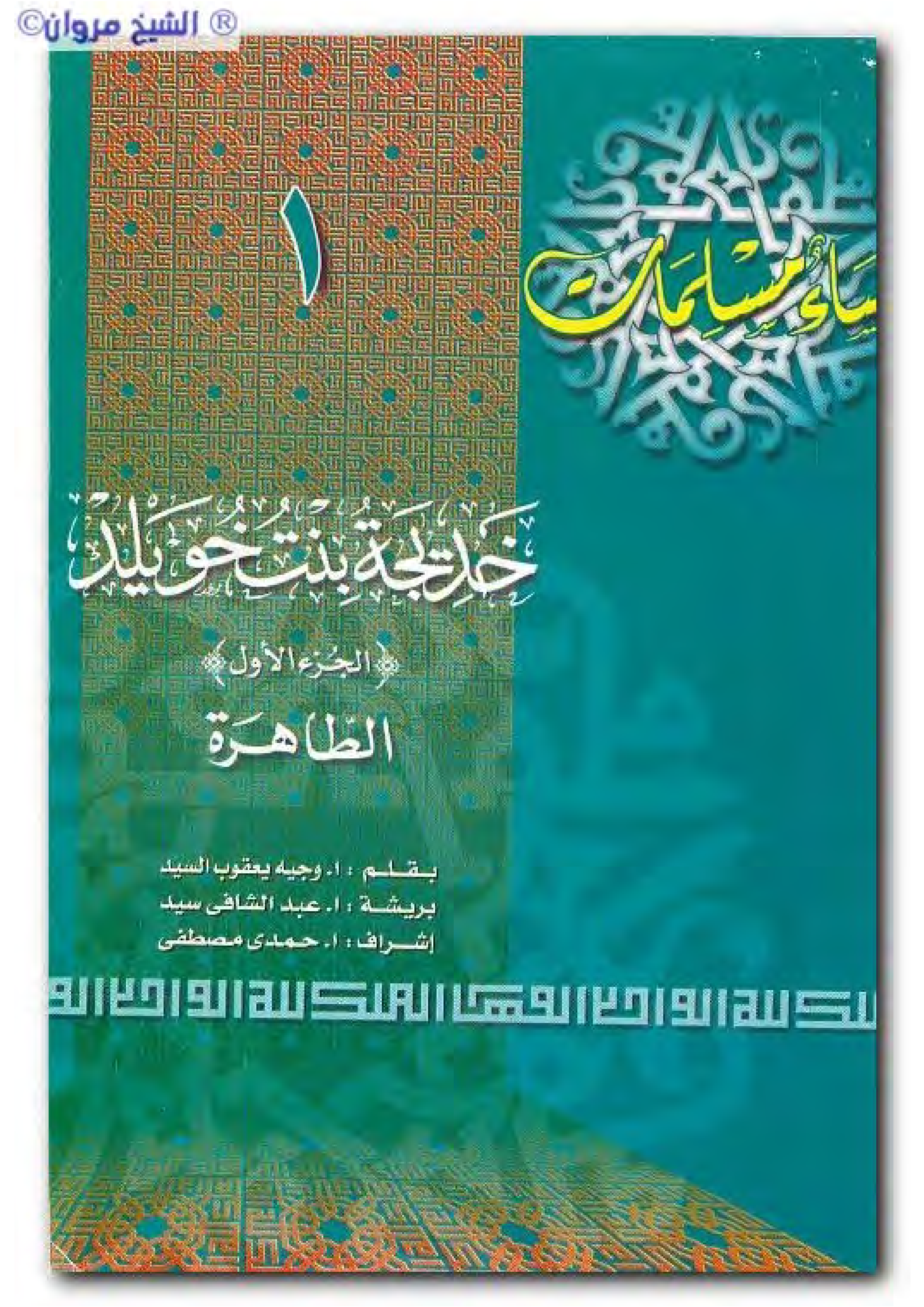


الشيخ مروان© ®
مسلمات
١
خديجة بنت خويلد
الجزء الأول
الطاهرة
بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

هذه السيدةُ هى خيرُ نساءِ الجنة ، كما قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ .

كانَ الرسولُ ﷺ يحبُّها حبًّا عظيمًا ، حتَّى إنه كانَ دائمَ الذكرِ لها والثناء عليها بعد موتها ، لدرجة جعلت السيدةَ عائشةَ تشعرُ بالغيْرةِ منها ، وتغبطُها على مكانتِها منْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتَّى إنها قالتْ له ذاتَ يومٍ مداعبةً :

ـ هلْ كانتْ إلا عجوزًا قدْ أبدلكَ اللَّهُ خيرًا منها ؟

فغضبَ الرسولُ ﷺ وقالَ فى حسمٍ :

ـ لا ، واللَّهِ ما أبدلنى اللَّهُ خيرًا منها ، آمنتْ بى إذْ كفرَ الناسُ ، وصدَّقتنى إذْ كذَّبنى الناسُ ، وواستْنى بما لها إذْ حَرَمَنى الناسُ . ورزقنى اللَّهُ منها الوْلَدَ دونَ غيْرِها من النساءِ !

وعندئذ علمت السيدةُ عائشةُ المكانةَ التى تحتلُّها هذه السيدةُ فى قلبِ الرسولِ ﷺ ، وأدركتْ أنه من الصعب أنْ تحتلَّ إحدى زوجات النبىِّ ﷺ هذه المكانةَ أبدًا ..

إنها السيدة (خديجةُ بنتُ خُويلدٍ) التى كانتْ تُلَقَّبُ فى الجاهليَّةِ بالطاهرة لطهارةِ سيرتها ونقاءِ سريرتها ، كما كانتْ تُعْرَفُ بأنها سيدةُ نساءِ قُريشٍ .

تزوجتْ فى الجاهليَّةِ منْ (هندِ بنِ زرارةَ) ثُمَّ منْ



(عتيقِ ابنِ عائذٍ) ، وبعدَ وفاتهما ورثتْ عنهما مالاً كثيراً ، فساعدَها ذلك على أنْ تعملَ بالتجارة ، وسرعانَ ما تبوأتْ مكانتها بينَ التجار ، وصارَ كثيرٌ منَ الرجالِ يعملون لديها ، وكانَ أشرافُ مكّةَ يتمنونَ الزواجَ بـ (خديجةَ) لمكانتها وحسبِها وجمالِها ، لكنها كانتْ ترفُضُ ذلك لعدمِ كفاءة هؤلاء لها .

وشاءتْ إرادةُ اللَّه أنْ يكونَ اللّقاءُ بيْنَ محمد ﷺ وبينَ (خديجة) ، فقد علم عمُّه (أبو طالبٍ) أنَّها تُجهزُ لخروجِ تجارتها إلى الشامِ ، فقالَ لابنِ أخيه :

– يا بن أخي ، أنا رجلٌ لا مالَ لي ، وقد اشتدَّ الزمانُ علينا ، وقدْ بلغنى أنَّ (خديجة) استأجرتْ فُلاناً ليعملَ لديها ، فهلْ لكَ أنْ أُكلّمَها ؟

فقالَ محمدٌ ﷺ :

– ما أحببت !

فخرجَ أبو طالب إليها ، فقالَ لها :

– هلْ لك يا (خديجةُ) أنْ تستأجرى ابنَ أخي ؟ فقدْ بلغنا أنك استأجرت فُلاناً .

فقالتْ خديجةُ :

اللّه لا إله إلا هو
الحي القيوم لا تأخذه سنة
ولا نوم

ـ على الرَّحبِ والسَّعةِ يا (أبا طالبٍ) .

فقالَ (أبو طالبٍ) :

ـ ولكنَّا لا نرضَى أنْ يكونَ أجْرُهُ كأجْرِ أقرانِه ، فَهُوَ مَنْ هُوَ كما تعرفينَ !

فقالتْ (خديجةُ) :

ـ لو سألتَ ذلكَ لبَعيدٍ بَغيضٍ فَعَلْنا ، فكيفَ وقدْ سألتَهُ لحبيبٍ قريبٍ !

وعادَ (أبو طالبٍ) إلى ابنِ أخيه ليبشِّرَه بهذا الأمرِ ، وقالَ له :

ـ هذا رزقٌ قدْ ساقه اللَّهُ إليكَ .

وخرجَ (محمَّدٌ) ﷺ مع (مَيْسَرَةَ) غُلامِ السيدةِ (خديجةَ) إلى الشامِ ، وفى الطريقِ وقفَ النبىُّ ﷺ تحتَ ظلِّ شجرةٍ ، بينما ذَهَبَ (مَيْسَرَةُ) لقضاءِ بعضِ حاجته فسألَهُ أحدُ الرُّهبانِ قائلاً :

ـ مَنْ هذا الرجلُ الذى نزلَ تحتَ هذه الشجرةِ ؟

فقالَ له (مَيْسَرَةُ) :

ـ هذا رجلٌ مِنْ قُريشٍ مِنْ أهلِ الحرَمِ .

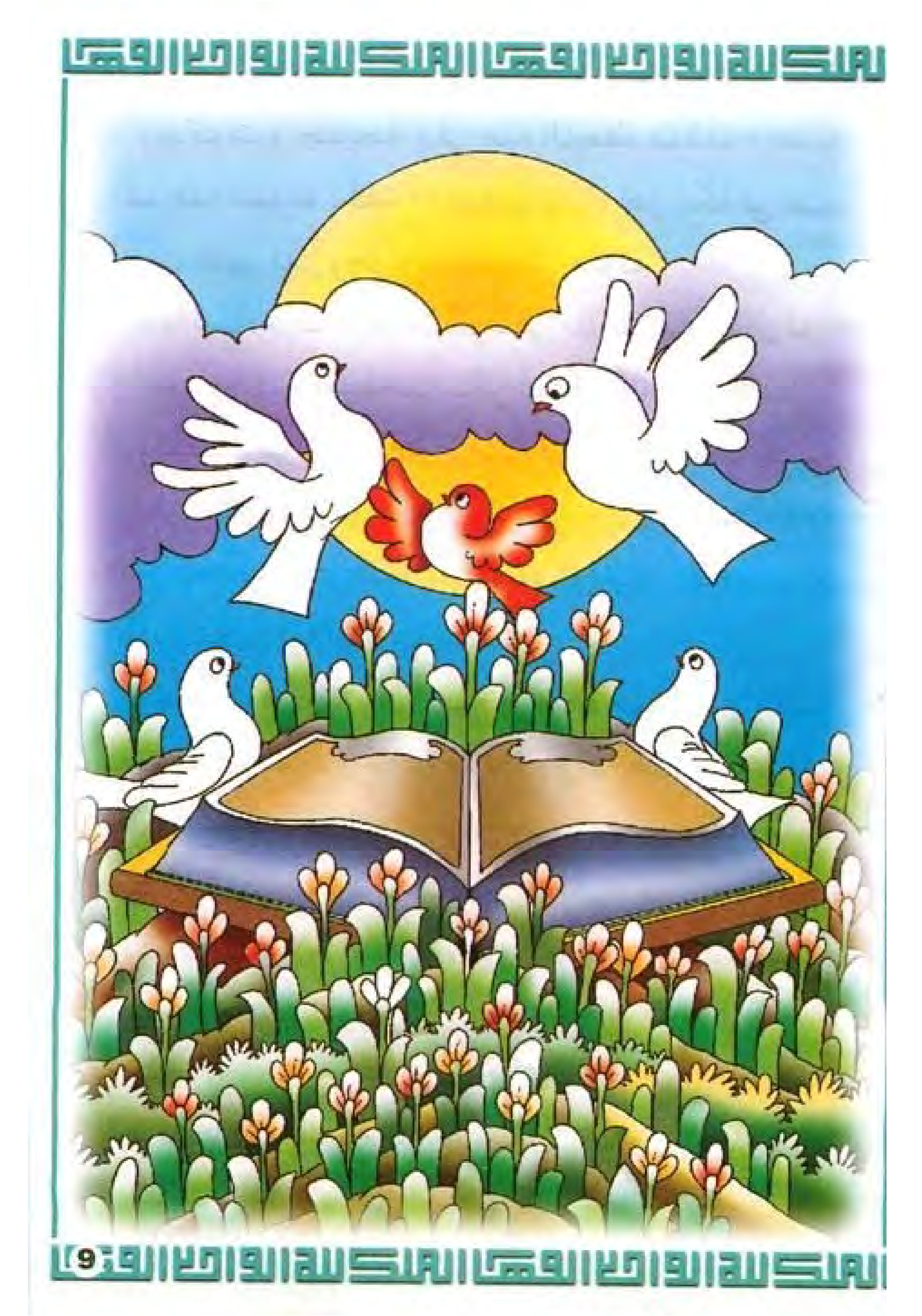
فقالَ له الرّاهبُ :

ـ ما نزلَ تحتَ هذه الشجرةِ إلا نبيٌّ !

وواصلَ الرسولُ ﷺ السيرَ هوَ و (مَيْسَرَةُ) حتَّى وصَلا إلى الشامِ ، وهناكَ التقَى التجارُ برجلٍ من طرازٍ فريدٍ ، رجلٍ حسنِ الحديثِ ، أمينٍ لدرجةٍ لم يعهَدُوها ، استطاعَ أنْ يكْسبَ ودَّهم وثقتَهُم في سُهولةٍ ويُسْرٍ ، ونجحَ في أوَّلِ مهمةٍ له نجاحًا منقطعَ النظيرِ ، حيثُ ربحتِ القافلةُ أضعافَ ما كانتْ تربحُهُ في المراتِ السابقةِ .

وعادَ (محمدٌ) ﷺ من رحلتِه رابحًا مظفرًا ، وفي طريقِ عودتِه ـ وكانَ الوقتُ ظهرًا ـ شعرَ كلُّ من كانَ بالقافلةِ بالتعبِ والإعياءِ بسببِ شدةِ الحرِّ ، إلا ما كانَ من أمرِ (محمدٍ) ﷺ ، فقدْ أرسلَ اللهُ غمامةً تسيرُ معه وتُظلُّهُ أينما سارَ ، ولاحظَ ذلكَ (مَيْسَرةُ) ومنْ كانَ معه .

ولما رجعَ (مَيْسَرةُ) إلى السيدةِ (خديجةَ) وسألته عنِ الرحلةِ ، ولم تنسَ أنْ تسألَهُ عنْ (محمدٍ) ، أخبرها (مَيْسَرَةُ) عن عُذوبةِ حديثِه ورقَّتِه في المعاملةِ مع الناسِ ، على أنَّ أهمَّ مالفتَ نظرَ السيدةِ (خديجةَ) ، كانَ حديثَ الراهبِ عن (محمدٍ) ﷺ وأنه سيكونُ نبيًّا لهذه الأُمَّةِ .



وتذكَّرتْ (خديجةُ) فى هذه اللحظة موْقفًا عجيبًا أكَّدَ هذه النبوءةَ ، فقد اجتمعتْ نساءُ أهلِ مكَّةَ فى عيدٍ لَهُنَّ ، فظهرَ لَهُنَّ رجلٌ ونادى بأعلى صوته :

ـ يا نساءَ مكَّةَ ، إنه سيكونُ فى بلدكُنَّ نبىٌّ يُقالُ له : (أَحْمَدُ) ، فمنِ استطاعتْ منكنَّ أنْ تكونَ زوجًا له فلْتَفْعَلْ .

واستبشرتْ (خديجةُ) خيرًا فى نفسها ، لأنَّ النساءَ حملنَ الحجارةَ ورمينَ بها هذا الرجلَ ، إلا هى فقدْ أخذت الأمرَ بجديَّةٍ ، وعرضتْهُ على عقلها وقلبها ، فأحسَّتْ أنَّ الأقدارَ تُخبِّئُ لها أنباءً سعيدةً .

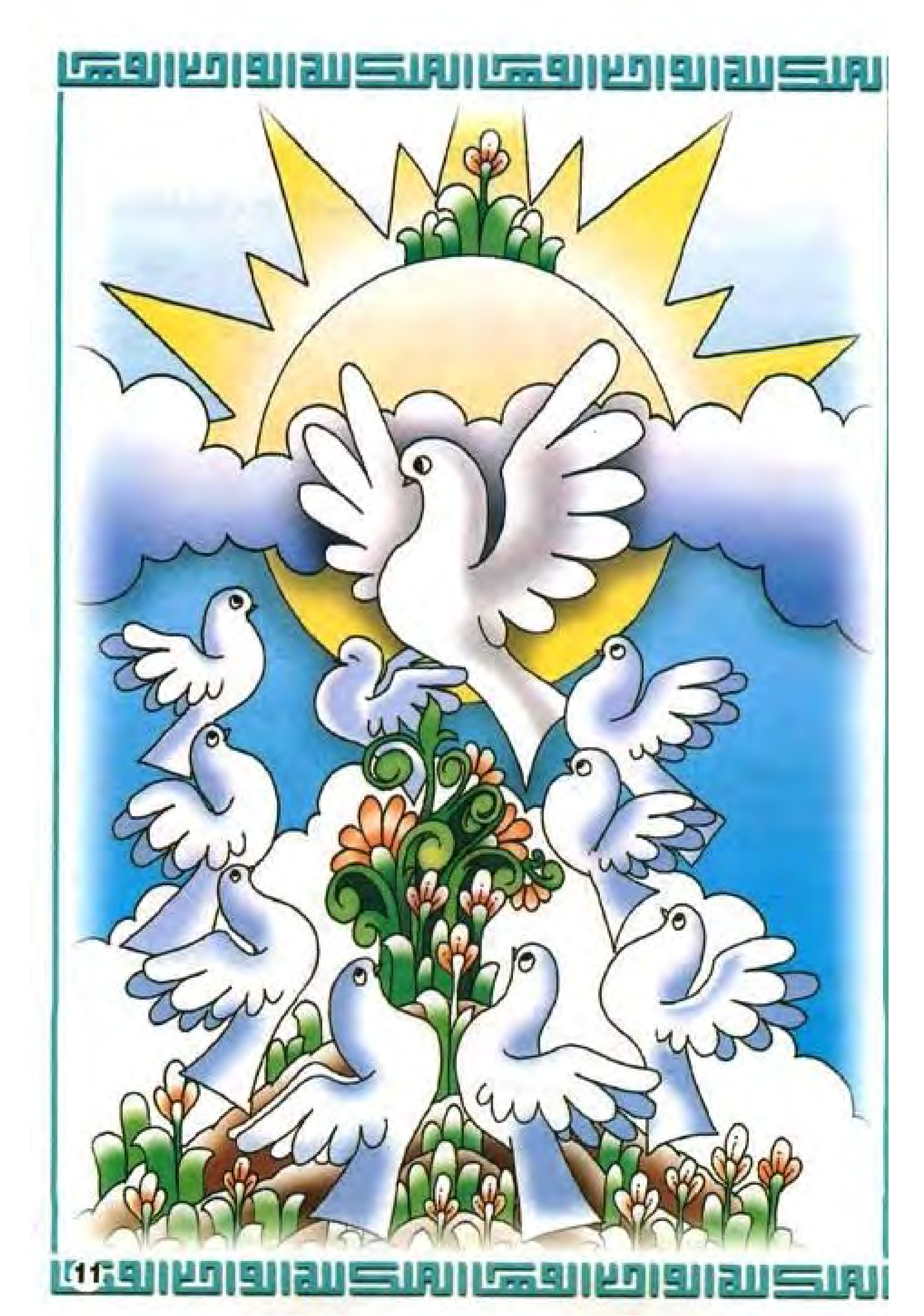
وتمنَّتْ (خديجةُ) أنْ تصبحَ زوجَ (محمدٍ) ، وأحسَّتْ نحوه بحبٍّ شديدٍ وعاطفةٍ صادقةٍ ، ولم تُخْفِ مشاعرَها ، فقدْ أبدتْ رغبتَها فى الزواجِ من (محمدٍ) لصديقةٍ لها وطلبتْ منها أنْ تختبرَ مشاعرَ (محمدٍ) ورغبتَهُ فى الزواجِ منها وذهبتْ صديقةُ (خديجةَ) إلى (محمدٍ) ، فقالتْ له :

ـ ما يمنعُكَ أنْ تتزوَّجَ ؟

فقالَ :

ـ ما بيدَىَّ ما أتزوَّجُ به .

فقالتْ :



ـ فإنْ كُفيتَ ذلك ، ودُعيتَ إلى الجمالِ والمالِ والشرفِ والكفاءة ، ألا تجيبُ ؟

فقالَ :

ـ فَمَنْ هيَ ؟

فقالتْ :

ـ (خديجةُ بنتُ خُويلد) .

وتعجَّبَ (محمدٌ) ﷺ ، وقالَ للمرأة :

ـ كيفَ لي بذلك ؟

فقالتْ :

ـ عليَّ ذلك .

وعندئذ أعلنَ الرسولُ ﷺ قَبُولَهُ ، ثُمَّ ذهبَ إلى أعمامه ليُشاورهُمْ في هذا الزواج والاستعداد له .

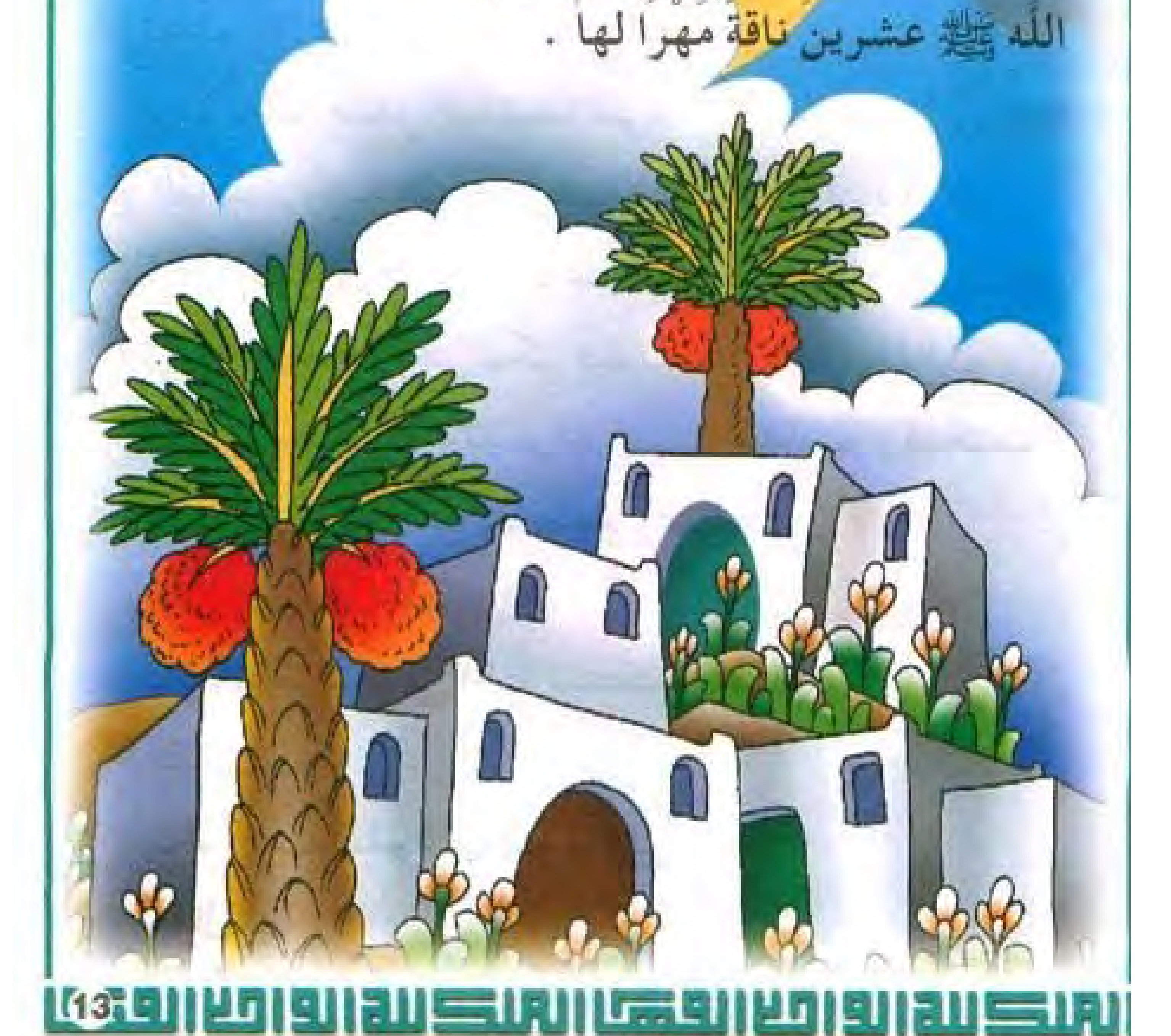
وتحمَّسَ أعمامُ النبيِّ ﷺ لهذا الزواجِ ، فـ (خديجةُ) امرأةٌ شريفةُ الحسب والنسب ، طاهرةُ الظاهرِ والباطنِ ، رفضتَ الزواجَ من أغنياءِ مكَّةَ ووجهائها ، كما أنَّ (محمداً) هُوَ أكملُ شباب مكَّةَ عقلاً ، وأحسنهُمْ سلوكًا .

وذهبَ (أبو طالبٍ) مع ابنِ أخيه إلى أعمامِ (خديجةَ) ، وطلبَ منهُمْ خِطْبَةَ (خديجةَ) لـ (محمدٍ) ، وقالَ وهو

يذكرُ محاسنَ ابنِ أخيه :

ـ أمَّا بعْدُ ، فإنَّ (محمداً) ممَّنْ لا يُوازنُ به فتىً منْ قُريشٍ إلا رجُحَ به شرفًا ونُبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإنْ كانَ في المالِ قلَّةٌ ، فإنما المالُ ظلٌّ زائلٌ ، وإنَّ ابننا له في (خديجة بنت خُويلد) رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلكَ !

وزوَّجها عمُّها (عمرُ بنُ أسدٍ) بعد أنْ دفَعَ لها رسولُ اللَّه ﷺ عشرين ناقةً مهرًا لها .



وبدأ (محمدٌ) ﷺ حياتَهُ الزوجية مع المرأة التى أحبته حبًّا صادقًا ، وتمنّت أنْ تُصبح زوجةً له ، لما كانَ يتمتّعُ به مِنْ أخلاقٍ عظيمةٍ ، وأدبٍ جمٍّ ، كما أنها كانتْ ترجو أنْ يُصبحَ هو نبيَّ هذه الأمة ، فقدْ كانتْ كلُّ الدلائلِ تُشيرُ إلى ذلك .

عاشَ الزوجانِ حياةً هانئةً سعيدةً ، ورزقَهما اللَّهُ بالبنينَ والبناتِ ، فقدْ رُزِقَ الزوجانِ (بالقاسمِ ، وعبدِ اللَّهِ ، وزينبَ ، ورقيَّةَ ، وأمِّ كلثومَ ، وفاطمةَ) .

ولم يُعكِّرْ صفوَ حياتهما شيءٌ ، إلا فقدُهما لابنَيْهِما (القاسمِ ، وعبدِ اللَّهِ) ، وهما لا يزالانِ فى فترةِ الرَّضاعة ، لكنهما صَبَرا واحتسبا ذلك عندَ اللَّه ، فقدْ دخلَ الرسولُ ﷺ على (خديجةَ) وهى تبكى فسألَها عَنْ ذلك ، فقالتْ :

ـ يا (محمدُ) ، تذكّرتُ ابنى (القاسمَ) فبكيْتُ ، وتمنيْتُ لو عاشَ حتَّى يستكْمِلَ رضاعَهُ .

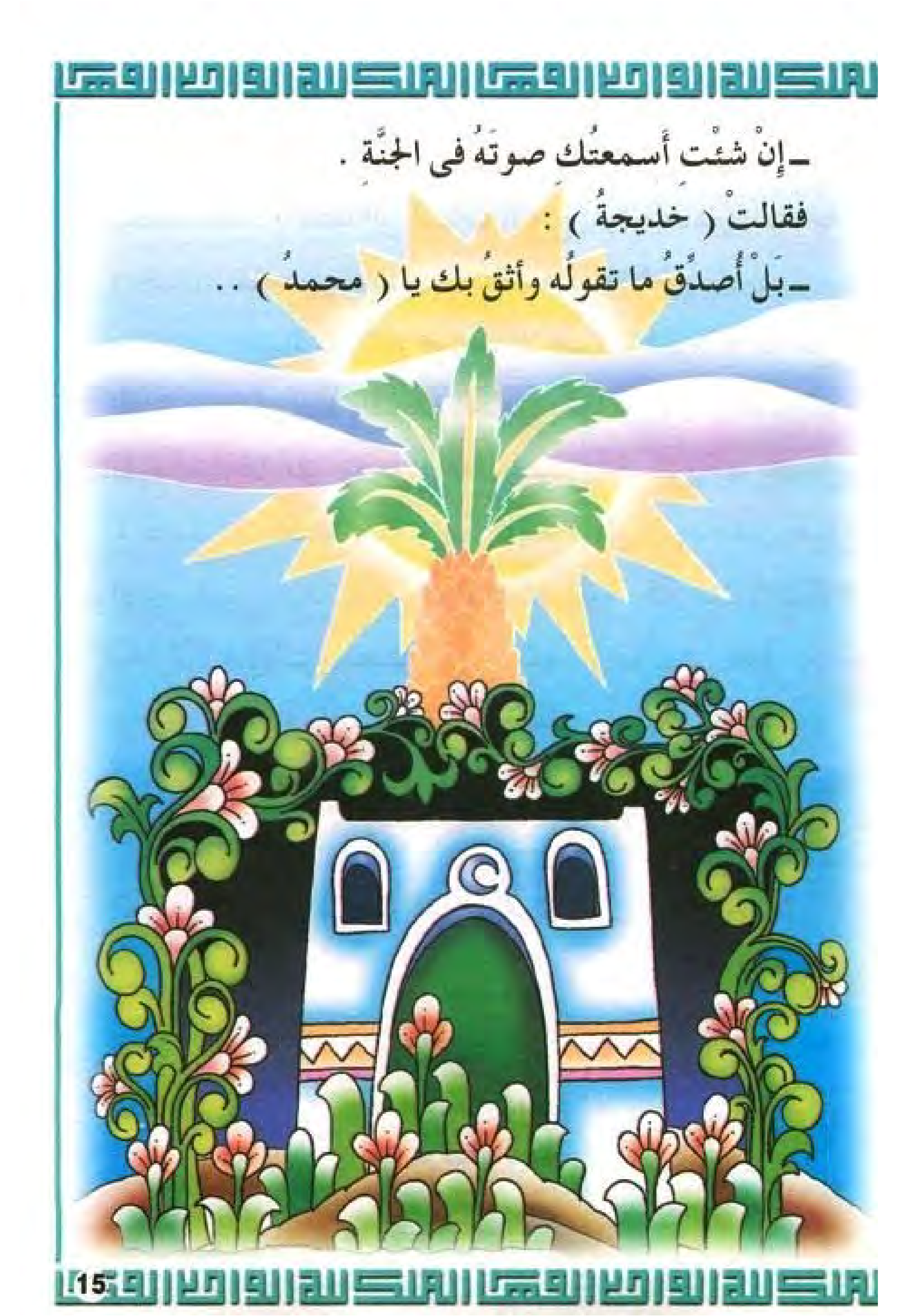
فقالَ لها (محمدٌ) ﷺ :

ـ إنَّ له مُرْضِعًا فى الجنة تستكملُ رَضاعَتَهُ .

فقالتْ :

ـ لو كنتُ أعلمُ ذلك لهوَّنَ علىَّ .

فقالَ لها :



- إنْ شئْتِ أَسمعتُكِ صوتَهُ في الجنَّةِ .

فقالتْ (خديجةُ) :

- بَلْ أُصدِّقُ ما تقولُه وأثقُ بكَ يا (محمدُ) . .

وعادت الحياةُ مرةً أُخرى إلى طبيعتها ، فقد رضى الزوجان بقضاء اللَّه ، والتفتا إلى البنات الأربع ، وأحاطاهن بالرعاية والحنان ، ما جعلهن يشعرن بالسكينة والاطمئنان .

كانت الحياةُ بين الزوجين مثالاً صادقًا للزواج الناجح الذى يقومُ على الودِّ والتفاهم الكامل ، فها هى ذى (خديجة) تقومُ بدورها على أكمل وجه ، فتهيئ الجو لزوجها للتأمل والتفكر ، وتعينه على نوائب الدهر بمالها ، وتخفف عنه آلامه بحسن إصغائها له ودوام الثناء عليه ، فكانت لا تنكر أبدًا أنها هى التى سعت للزواج منه ، وتقول فى فخر :

- إنى قد رغبت فيك لحسن خُلقك ، وصدق حديثك .

ولم يكن هذا الكلام يسعد الرسول ﷺ فحسب ، ولكنه كان يمنحه الثقة والاطمئنان ويتيح له الفرصة للتأمل فى الكون فى تلك المرحلة التى سبقت نزول الوحى عليه .

(تمت)

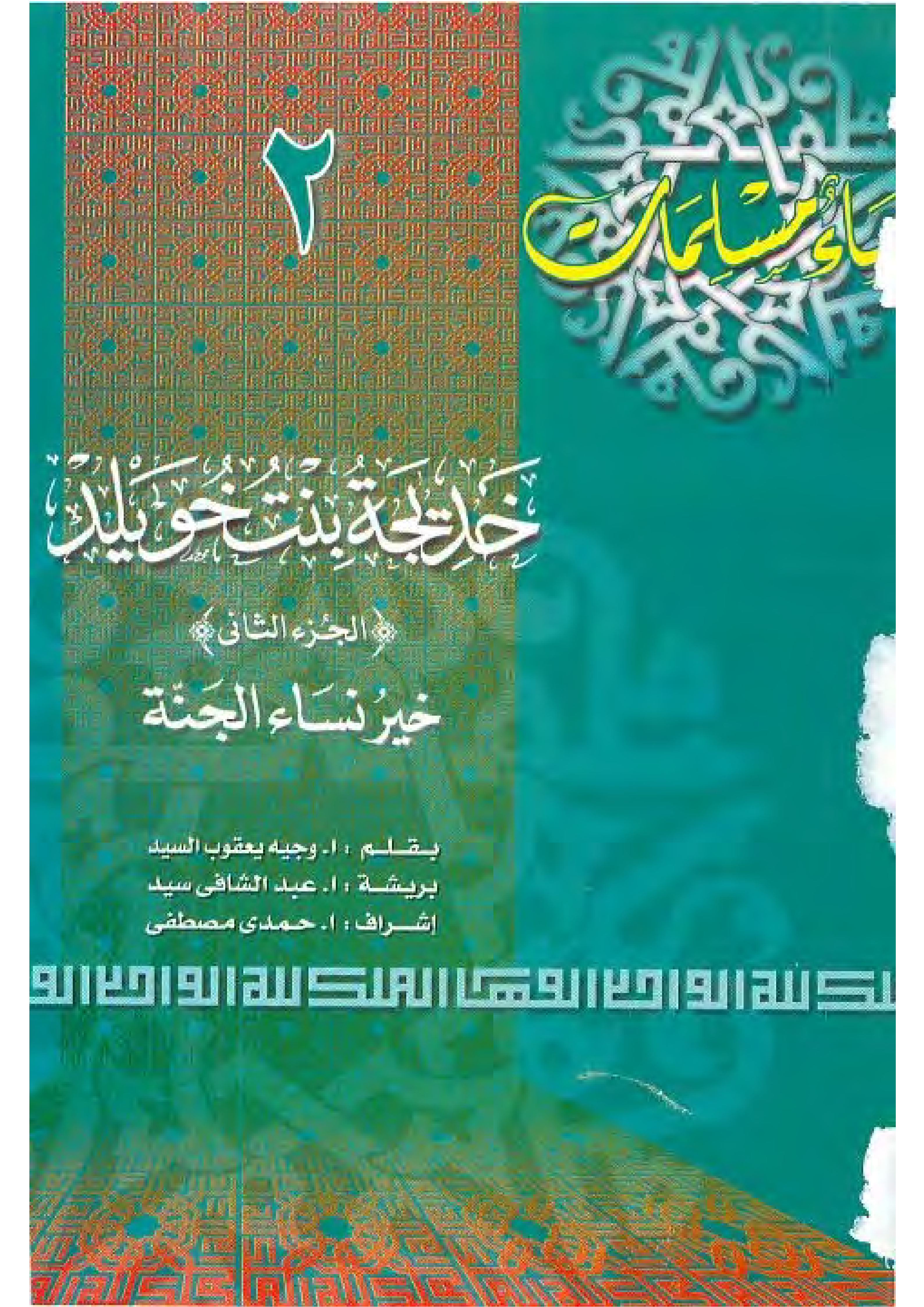
الكتاب القادم

خديجة بنت خويلد (٢)

خير نساء الجنة

رقم الإيداع : ٥٥٧٩/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : ٥ - ٤٧٥ - ٢٦٦ - ٩٧٧


مسلمات
٢
خديجة بنت خويلد
الجزء الثانى
خير نساء الجنة
بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

مـا إنْ بلغَ مـحـمـدٌ ﷺ الأَربعينَ ، حـتَّى أَلِفَ الْخَلْوَةَ ، فكانَ يذهبُ إلى غـارِ حـراءَ يتعـبَّـدُ ويتـأمَّلُ في عـجـائبِ الكونِ ، وكـانتْ زوجـتُـهُ (خـديجـةُ) تُهـيِّئُ له الأجـواءَ المناسبةَ لذلك ، فكانتْ تحوطُهُ بِالرعايةِ والهدوءِ وهو في البـيتِ ، فإذا انطلقَ إلى غـارِ حـراءَ ، دعتْ له بـالخيـرِ ، وظلَّتْ عيناها عليه من بعيد ، ولا تكتفي بذلك بل كانت تُرسِلُ خلفَ زوجِـهـا من يحْرسُهُ ويرعاهُ ، وكـانتْ تخْرجُ بنفسها إليه ومعـهـا غـذاؤُهُ وما يحتاجُ إليه .

وفي يومٍ سعيدٍ ، نزلَ الوحيُ على محمدٍ ﷺ ، ولم يكنْ هذا الحدثُ سهلاً على نفسـه ، فقدْ عادَ إلى بيتِـهِ خائفًا ، وظلَّ قلبُـهُ يرتجفُ ، وأسرعتْ (خديجةُ) نـحوه ، تُهدِّئُ من روْعِهِ وتقولُ له :

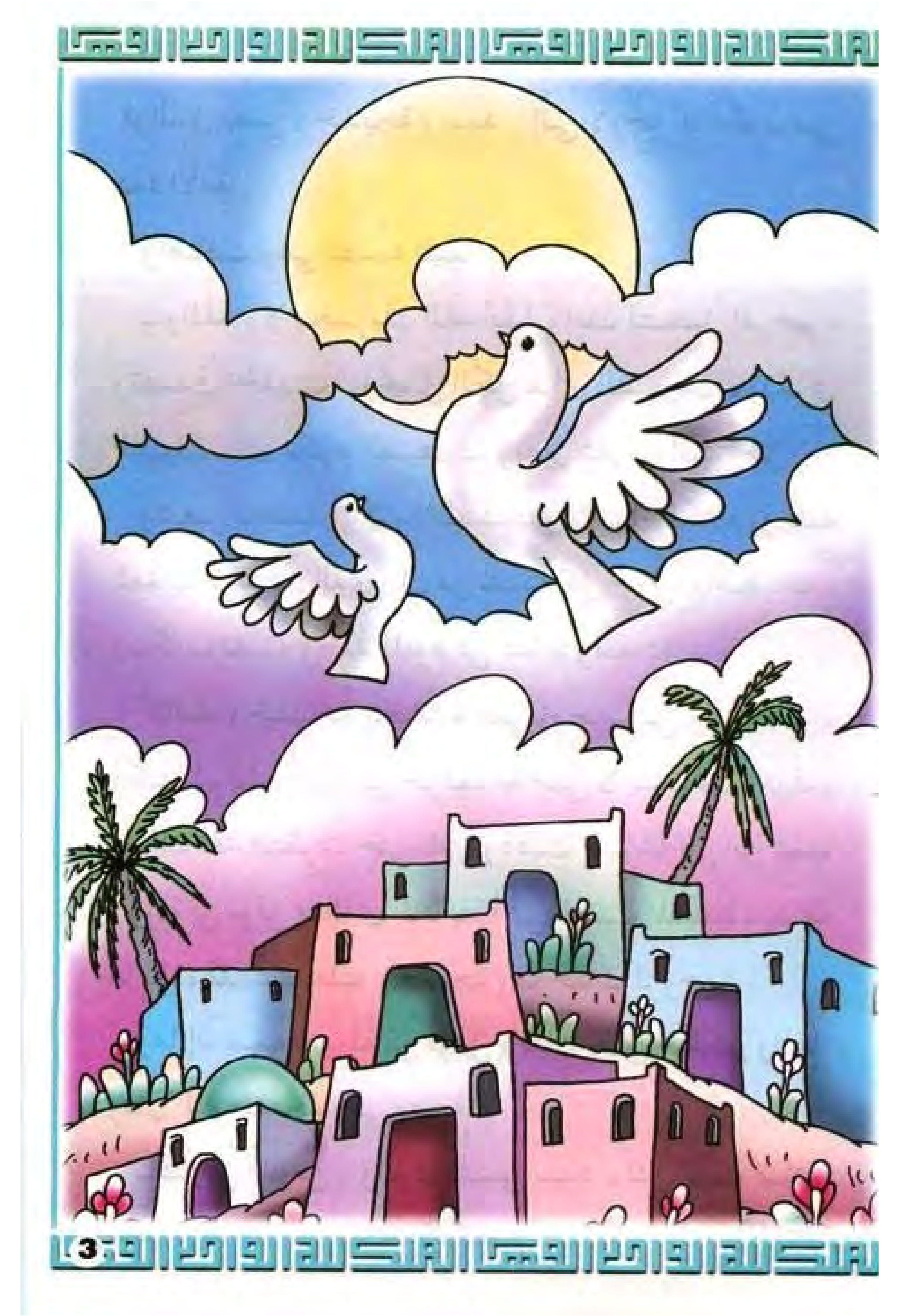
ـ ما بكَ يا محمدُ ؟ هلْ أصابكَ مكروهٌ ؟

فقصَّ عليها النبيُّ ﷺ ما حدثَ ومُخاطبةَ الملكِ له ثُمَّ قالَ :

ـ لقدْ خشيتُ على نفسي !

لكنَّ (خديجةَ) قالتْ في يقينٍ واطْمئنان :

ـ اللهُ يرعانا يا (أبا القاسمِ) ، أَبْشرْ يا بنَ عمَّ واثبتْ ،



فَوَالَّذى نَفْسُ (خديجةَ) بِيدهِ ، إنّى لأرجُو أن تكونَ نبىَّ هذه الأُمَّة .

وأضافتْ وهى تضمُّهُ إليها :

ـ واللّه ، لا يُخزيكَ اللّهُ أبداً ، إنك لتصلُ الرحمَ ، وتصدقُ الحديثَ ، وتحمل الكَلَّ ـ أى الضعيفَ ـ وتُقرى الضيفَ ـ أى تُكرمُ الضيفَ ـ وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ !

وشعرَ محمدٌ ﷺ بالاطمئنانِ والارتياحِ لكلامِ زوجته العذْبِ الودود ، الذى أزال من نفسه كلَّ خوفٍ واضطرابٍ ، وسكنتْ نفسُهُ وخَلَدَ للنومِ فى هناءةٍ وسعادةٍ .

كانتْ (خديجةُ) خائفةً على زوجها فى واقع الأمرِ ، لكنها لم تشأ أنْ تُظهرَ خوفها له حتَّى لا يتضاعفَ خوفُهُ، ولذلكَ فقد انتظرتْ حتَّى نامَ ، وذهبتْ مسرعةً إلى ابنِ عمها (ورقةَ بْنِ نَوْفَلَ) الذى كانَ يقرأُ فى الكُتبِ المقدَّسة ويعرفُ ما بها ، فقصَّتْ عليه (خديجةُ) ما حدثَ لزوجِها .

وما إنْ سمعَ (ورقةُ بْنُ نَوْفَلَ) ذلك حتَّى انتفضَ واقفاً ، وقالَ لـ (خديجةَ) فى بهجةٍ :

ـ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، والَّذى نفسى بيدهِ ، لئِنْ كنتِ صادقَةً



فيما أخبرتِنى به يا (خديجةُ) ، فإنَّ زوجَكِ قد نزلَ عليه الوحيُ الَّذى كانَ يأتى مُوسى ، وإنَّهُ لنبيُّ هذه الأُمَّةِ .

فقالتْ (خديجةُ) :

- أجلْ ، إنى صادقةٌ وربِّ الكعبةِ .

فقالَ لها (ورقةُ) :

- اذهبى إلى زوجِك وبشِّريه ، وقولى له : فليثبتْ !

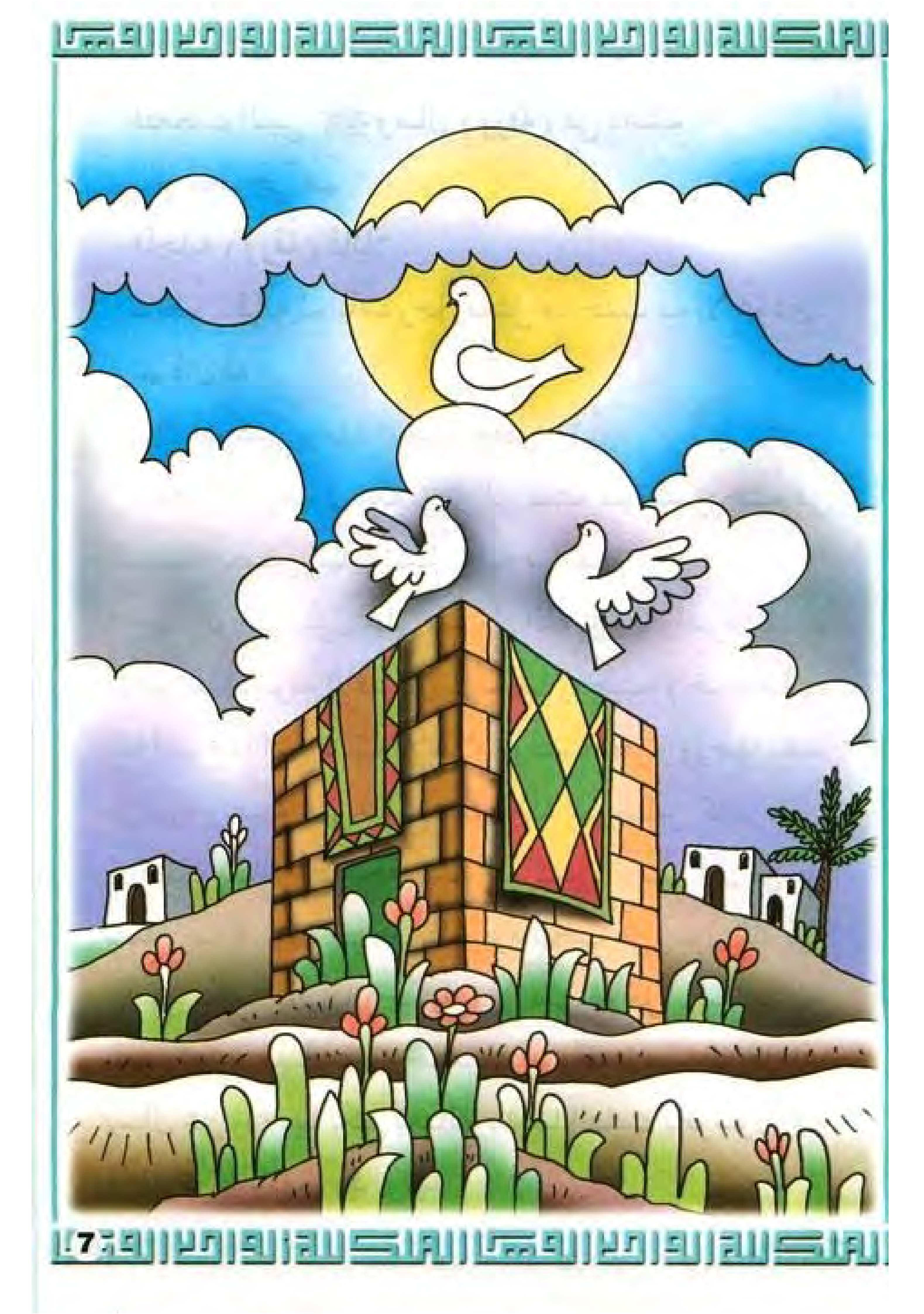
ولم تتمالكْ (خديجةُ) نفسَها من السعادةِ ، فرجَعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأخبرتْهُ بما قالَهُ ابنُ عمِّها (ورقةُ بْنُ نَوْفَلٍ) .

وخرجَ الرسولُ ﷺ يطوفُ بالكعبةِ تعبيراً عنْ شُكرِهِ للَّهِ ، فَلَقِيَهُ هناكَ (ورقةُ بْنُ نَوْفَلَ) ، فحيَّاهُ وسألَهُ :

- يا بنَ أخى ، أخبرنى بما رأيتَ وسمعتَ .

فأخبرهُ الرسولُ ﷺ بخَبَرِ ما رأى وسَمِعَ ، فقالَ له (ورقةُ) :

- هذا الناموسُ - أى الوحى - الذى نزل على موسى عليه السلام ، يا ليتنِى أكونُ حيًا إذْ يُكذِّبُك قومُكَ ويؤْذُونَك ويُخْرِجُونَكَ .

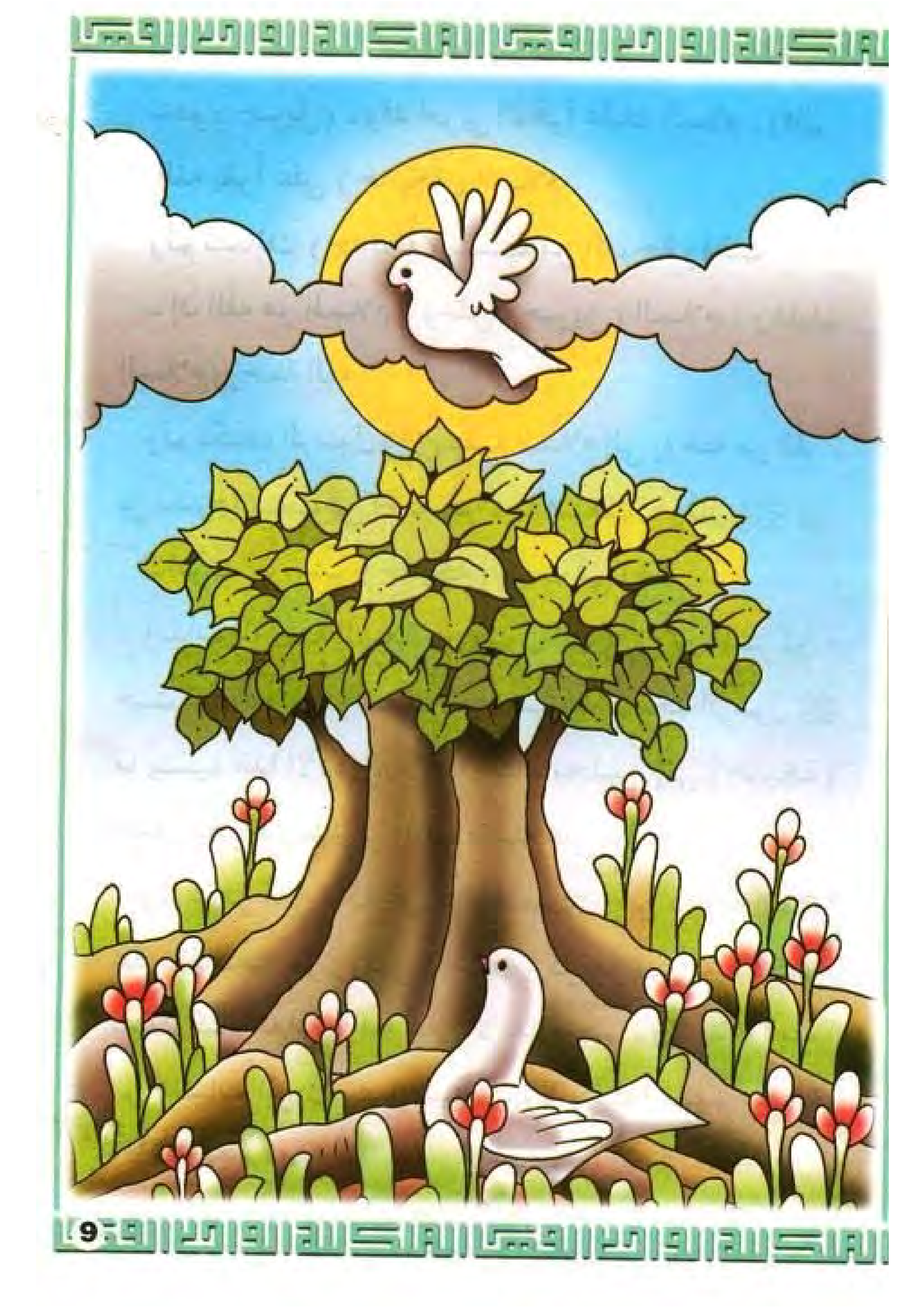


فتعجَّبَ النبيُّ ﷺ وسألَ (ورقةَ) في دَهْشَةٍ :
ـ أو مُخرجيَّ هُمْ ؟
فأجابَهُ (ورقَةُ) قائلاً :
ـ نعمْ . فإنه لم يأتِ رجلٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودِيَ .
ثمَّ قالَ له :
ـ إنْ أدركَني يومُكَ أنصرْكَ نصراً مؤزَّراً .

وانصرفَ رسولُ اللَّه ﷺ إلى بيته فوجَدَ زوجتَهُ في استقباله تُصْغي إليه وتُشيرُ عليه برأْيِها .

وبدأَ الوحيُ ينزلُ على رسولِ اللَّه ﷺ ، وأمرَهُ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ عشيرتَهُ الأقْربينَ ، فدَعَا زوجتَهُ (خديجةَ) ، وما أسرعَ ما استجابتْ للإسلامِ ووقفتْ بجوارِ زوجها تشدُّ من أزْرِهِ وتُعينُهُ على تبليغ دعوة اللَّه إلى الناسِ كافَّةً .

كانَتْ مكانةُ (خديجةَ) عند اللَّه كبيرةً ، فهيَ أولُ مَنْ آمنَ باللَّه ورسولِه ، فقدْ خرجتْ ذاتَ يومٍ تبحثُ عن رسولِ اللَّه ﷺ بأعْلى مكَّةَ ، فلَقِيَها (جبريلُ) في صورةِ رجلٍ ، فسألها عنِ النبيِّ ﷺ ، فهابتْهُ ، وخشيتْ أنْ يكونَ هذا الرجلُ إنما يسألُ عن زوجِها لكيْ يغتالَهُ ، فلمَّا التقتْ بالرسولِ ﷺ وأخبرتْهُ طمأنَها ، وقالَ لها :



ـ هُوَ (جبريلُ) ، وقدْ أمرنى أنْ أَقرأَ عليكِ السلامَ ، وقالَ : إنَّ اللَّهَ يقرأُ على (خديجةَ) السلامَ .

ولم تتمالكْ (خديجةُ) نفسَها من الفرحة وقالتْ :

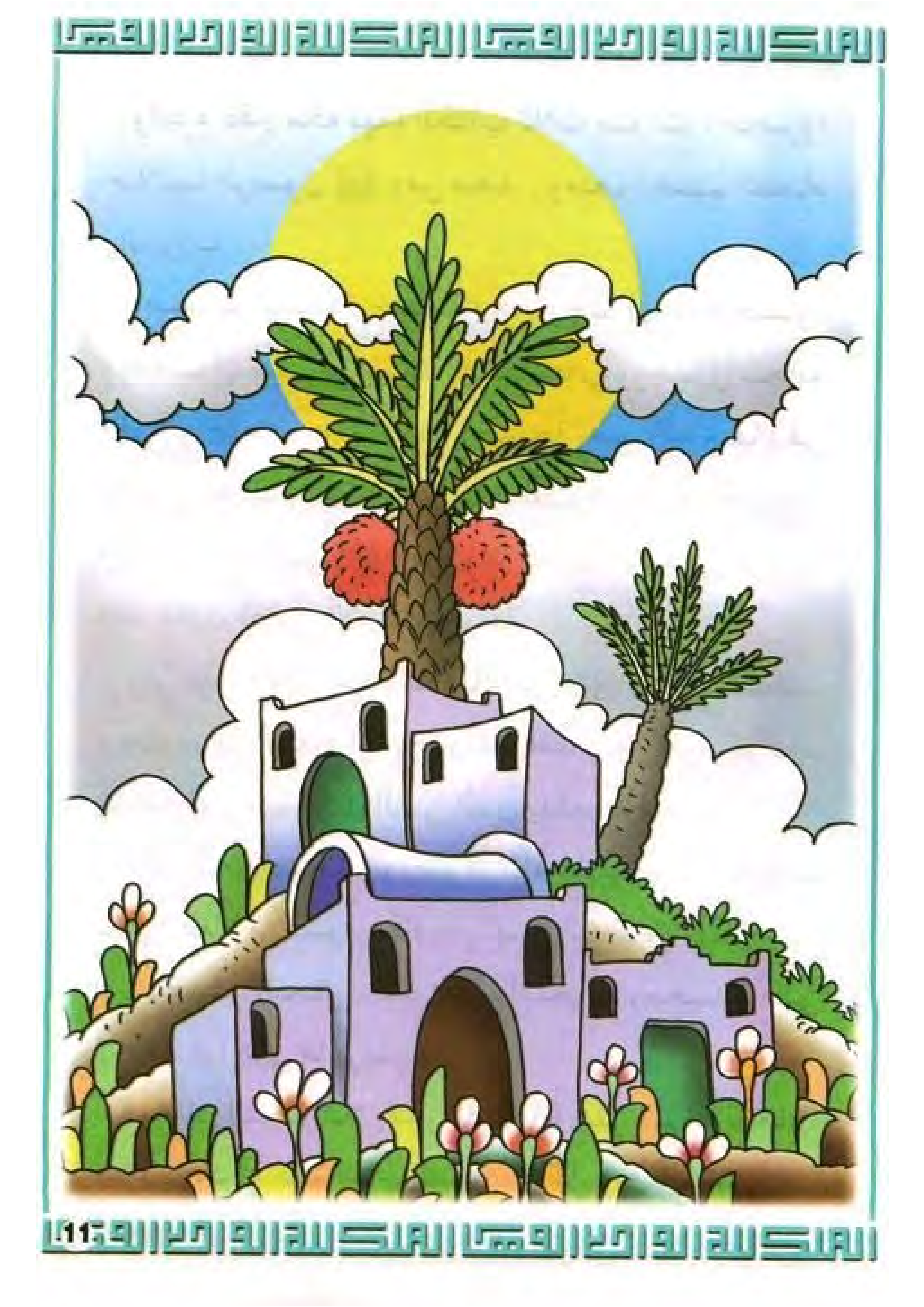
ـ إنَّ اللَّهَ هو السلامُ ، وعلى (جبريلَ) السلامُ ، وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللَّه !

ولم يكتفِ الرسولُ ﷺ بتبليغِ السلامِ إلى زوجتهِ من اللَّه ، بلْ بشَّرها ببيتٍ فى الجنة جزاءَ ما صنعتْ ، وقالَ ﷺ :

ـ أُمرتُ أنْ أُبشِّرَ (خديجةَ) ببيتٍ فى الجنة .

وبدأت المواجهةُ الصعبةُ بينَ رسول اللَّه ﷺ وبينَ المشركينَ ، حيثُ كذَّبوهُ وآذوهُ وأسمعُوه مايُغضبُه ، ولم يجدِ الرسولُ ﷺ ما يُنسيه هذا الأذى ، إلا حينَ كانَ يجلسُ إلى (خديجةَ) فتقفُ بجوارِه وتشدُّ من أزرِه ، وتُثبِّتُه على موقفه .

ولما عجزَ أهلُ مكَّةَ عن ردِّ محمد ﷺ عنْ دعوته اتَّفقُوا على مُقاطعته هو و(بنى هاشمٍ) وكلِّ من آمنَ به ، فكتبُوا بذلكَ كتابًا تعاقدُوا فيه على ألاَّ يبايعُوهُمْ ، ولا يَدعُوا سببًا من أسبابِ الرِّزقِ يصلُ إليهم ، ولا يقْبلُوا منهم صُلْحًا ، ولا تَأْخُذهُمْ بهمْ رأفةٌ .



والتزمَ كفارُ مكَّةَ بهذا الكتابِ ثلاثَ سنواتٍ ، حاصروا خلالَها الرسولَ ﷺ ومَنْ معه ، ومنعُوا عنهمُ الطعامَ والشرابَ .

وصمدت السيدةُ (خديجةُ) مع زوجِها في هذا الحصارِ، ورفضتْ أنْ تَبْقَى في بيتِها ، بينما يُعاني زوجُها وأصحابُهُ الجوعَ والحرمانَ ، ولم تتردْ (خديجةُ رضِيَ اللَّهُ عنها) في الخروجِ مع النبيَّ ﷺ ، وهكذا تخلَّتْ عن دارِها الحبيبةِ، وقامت تتبعُ النبيَّ ﷺ ، برغمِ ما كانتْ تُعانيهِ من مرضٍ ، فقد كانت تعاني آلامَ الشيخوخَةِ .

وفي هذا الحصارِ اشتدَّ البلاءُ بالرسولِ ﷺ ، وكانَ الصحابةُ يبحثونَ عنِ الطعامِ فلا يجدونَهُ ، فقدْ رفضَ المشركونَ أنْ يبيعُوهُ لهم مهما كانَ الثمنُ الَّذي يدفعُونَهُ فيه .

فقدْ كانَ الصحابةُ (رضوانُ اللَّه عليهمْ) إذا أرادُوا أنْ يشتروا طعامًا من السُّوقِ ، قامَ (أبُو لهبٍ) إلى التجارِ ، وقالَ لهمْ :

ـ يامعشرَ التجارِ ، غالُوا على أصحابِ (محمدٍ) حتَّى لا يَحْصُلُوا على ما يُريدونَ .

فيُغالي التجارُ فلا يقدرُ الصحابَةُ على شراءِ الطعامِ، فلا يجدونَ أمامهم سوى الصبرِ ، وأكلِ ورقِ الشجرِ .

وبَقيتْ (خديجةُ رَضِىَ اللَّهُ عنها) فى الحصارِ ، صابرةً مع زوجِها النبىِّ ﷺ ، ومحتملةً لهذا الحصارِ الظالمِ الذى أنهكَ قُواهَا ، ولم ترجعْ إلى بيتِها إلا بعد أنْ تهاوَى هذا الحصارُ أمامَ ذلك الإيمانِ الصادقِ ، وكانتْ طوالَ زمنِ الحصارِ نعم الزوجةَ الصابرةَ المحتسبةَ ، التى احتملتْ فوقَ طاقتِها ، فقدْ كانَ عُمرُها قدْ قاربَ الخامسةَ والستينَ .



وبعدَ أنْ رَجَعَ محمدٌ ﷺ من الشِّعْبِ بعدَ أَن انتهَى الحصارُ الظالمُ ، لم تمضِ إلا شهورٌ قليلةٌ حتَّى أصابتْهُ في عامٍ واحدٍ فاجعتانِ ، كلٌّ واحدةٍ أكبرُ منَ الأُخْرَى ، فقدْ ماتَ عَمُّهُ (أبُو طالبٍ) ومِن بعدهِ زوجتُهُ (خديجةُ) ، فتأثَّرَ رسولُ اللَّه ﷺ لموتهما تأثُّراً شديداً .

فقد كانَ عمُّهُ (أبُو طالبٍ) السندَ الَّذى يحميه من أذَى قُريشٍ ، وكانَ المشركونَ يعملونَ له ألْفَ حساب .

أمَّا (خديجةُ رضىَ اللَّهُ عنها) فقد كانتْ بالنسبة لمحمد ﷺ هِيَ السندَ الحقيقيَّ بما كانتْ تمنَحُهُ مِن حُبِّها وبرِّها ، ومن رِقَّةِ نفْسِها وطهارةِ قَلْبِها وقوَّةِ إيمانِها .

(خديجةُ) التى كانتْ تهوِّنُ عليه كلَّ شدَّة ، وتُزيلُ مِن نفسه كلَّ خَشْيَة ، والتى كانتْ مَلاكَ رحمة ، يرَى فى عينيْها وعلى ثغرِها مِنْ معانى الإيمانِ باللَّه وبِرسُوله ما يزيدُهُ إيماناً بنفسه .

وبلغتْ متاعِبُ الرسولِ ﷺ أقسَى مداها فى عام الحزنِ الذى ماتتْ فيه (خديجةُ) ومِن قبلِها مات عمُّهُ (أبُو طالب) ، وظنَّ المشركُونَ أنَّ الفرصةَ قد لاحتْ لهم بموت (أبى طالب) و(خديجةَ) ، فأخذُوا يؤذُونَ النبىَّ ﷺ ، فقد اجْتَرأَ عليه الكفارُ ، فأسمعُوهُ منَ الكلامِ ما لا يُرضَى ، وكانَ السفهاءُ

منهمْ عندما يجدونَهُ في الطريقِ يرمُونَ الترابَ على رأسِهِ ، وكانت ابنتُهُ (فاطمةُ) كلمَّا رأتْ ذلك مسحَتْ عنه الترابَ وهيَ تبكي ، فيقولُ لها :

ـ لا تبكي يابُنيةُ ! فإنَّ اللَّهَ مانعٌ أباكِ .

ثمَّ كانَ يرددُ قولَهُ :

ـ واللَّهِ ما نالتْ منِّي قُريشٌ شيئًا أكرهُهُ حتَّى ماتَ (أبو طالبٍ) !

وظلَّ الرسولُ ﷺ وفيًا لذكرى زوجته ، فكانَ لايذبحُ شاةً إلا ويأمرُ بإرسالِ بعضها إلى أصدقاءِ (خديجةَ) ، ويقولُ :

ـ أرسلُوا إلى أصدقاءِ (خديجةَ) ، إنِّى لأُحبُّ حبيبَها .

لقدْ كانت السيدةُ (خديجةُ) ملءَ حياة النبيِّ ﷺ وهى حيَّةٌ ، وكذلك كانتْ لا تغيبُ عن باله بعدَ أن ماتتْ ، حتَّى قالتْ عنها السيدةُ (عائشةُ) :

ـ كانتْ (خديجةُ) عندَ رسولِ اللَّه ﷺ كأنْ لم يكُنْ فى الدنيا امرأةٌ سواها !

وحقًّا ، لم يكن فى حياة النبىِّ ﷺ امرأةٌ استطاعتْ أنْ تأسُوَ جراحَهُ ، وأنْ تُهيِّئَ له الأجواءَ المناسبةَ للدعوة، مثلما كانت السيدةُ (خديجةُ بنتُ خويلد رضىَ اللَّهُ عنها) .

ويَكْفى أنَّ الرسولَ ﷺ قالَ أكثرَ منْ مرَّة :

ـ خيرُ نسائها ـ أى الجنة ـ (خديجةُ بنتُ خويلدٍ) ، وخيرُ نسائِها (مريمُ بنتُ عمرانَ) . [رواه البخارى]

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

سودة بنت زمعة

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٩٣٥